يحسبون قوله متصل بما حسب بان يكون حالاً من فاعله لبيان علة انكار الحسبان والمعنى
جهة اشكاله والمعنى احسبوا ذلك وقد علموا انه خلاف سنة الله تعالى ولن تجد لسنة الله تبديلا
والمقصود تنبيه على خطأ ظنهم في الحسبان قوله او بلا يفتنون بان يكون حالاً من فاعله لبيان
ان الاوجه تخصيصهم انفسهم بعدم الافتتان والمعنى احسبوا ان لا يكونوا اكفر منهم ولا يسكن لهم مسكن
الامم السابقة فيكون داخلاً في حيز متعلق الحسبان المنكر فخطئة لهم قوله فليتعلقن
علمه بالامتحان تشديداً للتكليف اي مشاق التكليف وبالواع السراء والضراء ويبلونكم بالحسنات
وثبات اقدامهم وتجدد عقائدهم وخضوع نياتهم ليتميز الخالص من غير الخالص والراسخ في
الدين والمتمكن في العبادة من العابد على حرف فيتعلق علمه بوجود كل طائفة على ما
هي عليه من الحال كما علم قبل ذلك بانه سيوجد مرصوفاً بتلك الحال ومقصود النص بهذا الكلام
ان يجب عما يقال انه تعالى عالم بجميع الكائنات فما معنى ترك كيف قيل فليعلمن الله وهو ان يقال
يقتضي ان يكون علمه تعالى حادثاً متجدداً عند الامتحان لا قديماً كما يقول الامام الاشعري وجوابه
وذلك ان علم الله تعالى صفة يظهر فيها كل ما هو واقع فقيل كان الله تعالى يعلم ان زيداً مثلاً
سيطيع وان عمراً سيعصي ثم وقت التكليف والاتيان يعلم انه مطيع والآخر عصي ولا
تتغير علمه في شيء من الاحوال وانما المتغير المعلوم وتبين هذا بمثال من الحسيات
وهو ان المرأة الصائغة المصيقلة اذا علقت بمرضع وقد يدخلها حجة ثم عبر
عليها زيد لابساً ثوباً ابيض فظهر فيها زيد في ثوب ابيض ثم عبر عليها عمرو في ثوب
اخضر فظهر فيها كذلك فحصل يقع في ذهن احداث المرآة في كيفيتها حديثاً تغيرت
او كيفيتها صيقلة مدورة مقابلة الى جهة فلانية تحولت وتبدلت لا تقع
في ذهن تغيرها في شيء من هذه الاوصاف بل يقطع كل احد بالمتغير الامور الحادثة
عنها فعلم الله تعالى في عدم تغيره وتجدده من هذا القبيل بل علمه تعالى ازلي قديم فالمرآة
مخلوقة وعلم الله تعالى ازلي قديم لكن يتجدد تعلقه على حسب تجدد المعلوم قوله فيعلمن
الذين صدقوا اي في دعوى الايمان والطاعة معناه انه يقع ممن يعلم الله تعالى انه يطيع
فيعلم انه مطيع بذلك العلم غاية ما في الباب انه قد يتجدد تعلقه بوجود الطاعة
منه بعد علمه بانه سيطيع قوله ليعلمن الكاذبين يعني من قال انا مؤمن وكان كاذباً
فيفرض الطاعات يظهر منه ذلك لانه يقع ممن علم الله منه انه سيمتنع ولا يطيع
المخالفة والعصيان فيعلم انه كاذب في دعوى الايمان والطاعة لقيام شاهد
كذبه فيها فان اللسان ترجمان القلب والاعضاء شهود على ما يخفيه المرء بالانسان فمن

ادعى

ادعى بلسانه الايمان واستعمل الاركان على حسب ما اقتضاه الايمان فقد صدقه شهوده في دعواه
ويحتج بذلك على تعالى من انه يعلم ليعلم فعلمه بانه قد اطاع ومن لم يستعمل الاركان حسبما تقتضيه الايمان
فقد كذبه شهوده ويحتج شهوده ما في علمه تعالى من انه لا يطيع وعلمه تعالى بانه من المنافقين
الكاذبين وقوله الذين صدقوا بصيغة وقوله الكاذبين لفظ اسم الفاعل فائدة
مع ان الاختلاف في اللفظ ادل على النظافة وهي ان اسم الفاعل يدل في كثير من المواضع
على ثبوت المصدر في الفاعل ورسوخه فيه والفعل الماضي لا يدل عليه كما تقول فلان ضارب
الخرز وفلان شارب الخمر وفلان نافذ امره وفلان ناذ الامر لا يفهم من صيغة الفعل
التكرار والرسوخ وفهم من ذكر من اسم الفاعل اذا ثبت هذا فنقول وقت نزول الآية
كانت الحكاية عن قوم قريبي العهد بالاسلام وما اولها محاب الله تعالى التكاليف
وعن قوم مستديمين الكفر مستمرين عليه فقال فيهم الكاذبين صدقوا بالمنطق الفعل
اي وجد منهم التصديق وقال في حق الكاذبين بالصيغة المبنية عن الثبات
والدوام قوله لكي ولكون المراد بالعلم تعلقه الحادث الذي هو سبب التمييز
والمجازاة فسر العلم بها على طريق اطلاق اسم السبب وارادة المسبب وقيل المعنى فليعلمن
او ليجازين فان كلا الشيئين والمجازاة على الشيء مسبب عن تعلق العلم به فاقيم قوله
فليعلمن مقام ليميزن او ليجازين قوله اي ليعلم الناس على ان كون العلم بمعنى عرفت
نقل الى باب الافعال فتعدى الى الذين صدقوا من الكاذبين قوله او ليسمنهم على ان
اعلم من اعلم انتصار الثوب فهو معلم بالكسر والثوب معلم بالفتح فيقال وسمه وسماه اذا
اثر فيه بكي وعلامة يعرف بها والضمير في يعرفهم وليسمنهم للصادقين والكاذبين
قوله الكفر والمعاصي ذكر اولاً ان الآية الاولى نزلت في ناس من الصحابة ان قوماً من المؤمنين
م اسار الى ان هذه الآية نزلت في حق الكافرين فان الكفار حال كفرهم وان لم يكونوا
مكلفين بفروع الايمان الا انهم معذبون عليها ويحتمل ان يكون مراده انها نزلت
في حق مطلق العصاة من الكفرة وغيرهم وهو الاظهر كانه قيل احسب الذين
قالوا امنا ان يكتفى منهم الايمان دون العمل الا متحان امر حسب الكفار ان لم يطيعوا
لانكارهم البعث وانجزاء اصلاً وراساً لكنهم نزلوا من خوف وصدق به وطمع في السبق اي الفوز
وذلك لغفلتهم واصرارهم على المعاصي مع ظهور حجة الدين ليل القيام على انه لا بد من التثبت
والجزاء فانكر عليهم ذلك الطمع والحسبان فكان حاصل المعنى ان انجزاء يخصهم بشدة
لانه لما انكر حسابهم ايشبه اي الفوت تبين انهم لا يفوتون فلا محالة يخصهم العذاب

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)